مدرسة الإسكندرية

أقوال القديس الأنبا أنطونيوس من عدة مصادر متفرقة

سامح فاروق حنين

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثاني - ٢٠٠٩

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٢

أقوال للقديس الأنبا أنطونيوس من عدة مصادر متفرقة

إعداد د. سامح فاروق حنين

أقوال للقديس الأنبا أنطونيوس من عدة مصادر متفرقة

د. سامح فاروق حنين
مدرس الأدب البيزنطي
بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

هذه الأقوال التي لأبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، أب جميع الرهبان، وفخر الرهبنة، قد جُمِعَتْ من عدة مصادر آبائية، بعضها معروفٌ والبعض الآخر يُنشَر لأول مرةٍ باللغة العربية. وبترجمة هذه الأقوال من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية تتاح لنا إمكانيةُ تكوينِ فكرةٍ وصورةٍ شبه كاملة عن شخصية القديس العظيم الأنبا أنطونيوس.

فمعظم المعلومات التي لدينا عن قديسنا العظيم الأنبا أنطونيوس نستقيها من سيرته: « سيرة وحياة أبينا القديس الأنبا أنطونيوس »[1]، التي دَوَّنَهَا لنا وللأجيال كلها القديسُ العظيمُ الأنبا أثناسيوس الرسولي رئيس أساقفة مدينة الإسكندرية، في شكل رسالةٍ وأرسلها إلى الرهبان الذين في خارج مصر حوالى عام ٣٥٧م، أي بعد سنوات قليلة من نياحة الأنبا أنطونيوس. وحوالي عام ٣٧١م، قام إيفاجريوس أسقف مدينة أنطاكية (٣٨٨ -٣٩٣م) بترجمتها إلى اللغة اللاتينية. ثم بعد ذلك تم ترجمة هذه السيرة العطرة إلى اللغات القبطية والسريانية والعربية والأرمينية. ويشير القديس أغسطينوس في كتابه «الاعترافات » إلى مدى تأثره بهذه السيرة. وذكرها كذلك القديس مار أفرام السرياني، والقديس جيروم (في أعماله التالية: « سيرة القديس بولس الطيبي »، « سيرة القديس إيلاري » و« عن مشاهير الرجال ») والكاتب اللاتيني روفينوس وبلاديوس أسقف مدينة هيلينوبوليس في مُؤَلَّفِهِ « التاريخ اللوزاكي » والمؤرِّخ الكنسي سقراط وكذلك القديس العظيم غريغوريوس اللاهوتي[2].

---

[1] Athanasii Vita Antonii, MPG 26, cc.
[2] *Ὁ Μέγας Ἀντώνιος*, Ἐκδόσεις Βασ. Ῥηγοπούλου, 6η ἔκδ., Θεσσαλονίκη 1998, σ. 11.

هذه الأقوال جُمِعَتْ من المصادر اليونانية التالية:

❖ **الباترولوجيا جريكا**: (كتابات الآباء اليونانيين) واختصارها (.P. G) وهي أكملُ مجموعةٍ للنصوص الآبائية، نشرها الراهب الكاثوليكي ب. ج. مين (J. P. Migne) الذي تنيح عام ١٨٧٥م. وهي تحوي إعادة طبع لكل النصوص التي سبق طبعها حتى وقته وذلك لكي تكون في متناول يد اللاهوتيين ولكي يكون الوصول إلى نصوص الآباء سهلًا. وللأسف فإن طبعة « مين » للآباء بها أخطاءٌ مطبعية كثيرة. ولهذا السبب فمن الأفضل دائمًا الرجوع إلى الطبعات التي أخذ منها « مين » إن لم تكن هناك طبعة علمية منقحة حديثة للنصوص (أي الطبعات التي ظهرت بعد « مين »). ومع ذلك تظل باترولوجيا « مين » بالنسبة لكثير من الكتابات الآبائية هي المصدر الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه.

والباترولوجيا جريكا هو القسم الذي يشمل كتابات الآباء والكُتّاب الكنسيين باللغة اليونانية الأصلية وتضم كتابات حتى القرن الخامس عشر، أي إلى مجمع فلورنسا وكل آباء كنيسة الإسكندرية والكتابات الرهبانية المصرية موجودة في هذه المجموعة باللغة اليونانية. وعدد مجلداتها ١٦١ مجلدًا من القطع الكبير[٣].

❖ **مخطوطات يونانية**: منها مخطوطٌ محفوظٌ في مكتبة الفاتيكان وآخرُ في مكتبة مدينة نوريمبيرج بألمانيا.

❖ **الفيلوكاليا** Φιλοκαλία: وهي كلمة يونانية مكونة من مقطعين حيث « فيلوس » φίλος بمعنى « مُحِب » و« كاليا » κάλια من καλός أي « جَمَال »، فيكون معنى الكلمة « محبة الجمال » أو « محبة الخير ». وكانت هذه الكلمة تُستخدَم لتدل على المختارات النثرية من كل ما هو مكتوب بطريقة جميلة، ثم استخدمه القديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي كعنوان أطلقاه على المختارات التي كانا قد جمعاها

---

[٣] في هذا انظر:

N. B. Τωμαδάκη, *Κλεὶς τῆς Βυζαντινῆς Φιλολογίας*, Θεσσαλονίκη 1993, σσ. 92, 93.

عام ٣٦٠م من كتابات العَلاَّمَة أوريجينيس. تحت نفس العنوان قام اثنان من اللاهوتيين اليونانيين وهما نيقوديموس الآثوسي (١٧٤٩-١٨٠٩م) ومكاريوس أسقف كورينثوس (١٧٣١-١٨٠٥م) بنشر مجموعة من الأعمال النسكية غير المنشورة لأشهر المتوحدين في الشرق المسيحي منذ القرن الرابع وحتى القرن الخامس عشر، مثل القديس أنطونيوس، إيفاجريوس البنطي، مكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي وغيرهم. وقد نُشرت نصوص « الفيلوكاليا » في فيينا عام ١٧٨٢م واكتُشِفت في بلاد الغرب مؤخرًا واستخدمها الراهب الكاثوليكي « مين » أثناء اعداده النصف الثاني من مجموعته «الباترولوجيا جريكا»[٤].

بخلاف كل هذه المصادر اليونانية التي تحتوي على أخبار وأقوال للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس لا تزال هناك أقوالٌ وتأملاتٌ أخرى محفوظةٌ في الْكِتَاب الأول من « الفيلوكاليا » وهو بعنوان « تأملاتٌ في الأخلاق وفي السيرة النافعة » مُكَوَّنٌ من ١٧٠ فُصَيْلاً. نرجو بنعمة الرب أن تُتَاحَ فرصةٌ لتَرْجَمَتِه من اللغة اليونانية ونشره إلى اللغة العربية.

أقوال القديس أنطونيوس

[4] *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. by A. Kazhdan et allii, Oxford University Press, 1991, 3 vols., vol. 3, p. 1656.

سأل أحدُ الحكماء القديس أنطونيوس قائلاً: [كيف تستطيع أن تعيش في هذه البرية بدون عزاءِ الكتب؟] فأجابه القديس أنطونيوس قائلاً: [كتابي، أيها الحكيم، هو الطبيعة التي خلقها اللّه وهي بالنسبة لي كتابٌ مفتوحٌ، فعندما أريد القراءة أنظر إليها][٥].

يقال إن القديس أنطونيوس عندما نزل من الجبل إلى مدينة الإسكندرية وقت انتشار بدعة أريوس لمساندة القديس أثناسيوس في مواجهتها قابل العلامة ديديموس الضرير وعندما رأى عِلْمَه ونبوغه قال له: [لا تحزن يا ديديموس على فقدِك بَصَرَك، فإن كنت حقًا محرومًا من أعينٍ بشريةٍ للذباب والبعوض مِثْلُهَا، فافرح بالأولى أن لك عَيْني ملائكةٍ، يُرى بها اللّهُ ويُدْرَكُ بها نورُهُ][٦].

يشير القديس أغسطينوس في مقدمة كتابه الذي يحمل عنوان « عن العقائد المسيحية » "De Doctrina Christiana"، إلى الرجل الكامل القديس أنطونيوس الراهب المصري كنموذج يُحْتَذَى، قائلاً: [رغم أنه لم يكن متعلمًا إلا أنه حفظ الكتب المقدسة سماعًا وعن ظهرِ قلبٍ وفَهِمَهَا تمامَ الفهمِ متأملاً فيها جيدًا][٧].

رسالة القديس أنطونيوس إلى ثيؤدوروس رئيس رهبان طابينيسا

بعد نياحة القديس باخوميوس الكبير بخمس سنوات تولى تلميذه ثيؤدوروس (٣٥١-٣٦٨م) (وهو تادرس باللغة العربية) تولى الإشراف على كل أديرة طابينيسا. وهذه الرسالة الموجهة للقديس ثيؤدوروس تُنسب للقديس أنطونيوس ولكنها حُفظت ضمن عملٍ للقديس أمونيوس أسقف مدينة أنطينوي، بعنوان « سيرة وحياة القديسَيْن باخوميوس وثيؤدوروس »، ومؤداها أن اللّه يُظهر رحمةً لعابدي يسوع الحقيقيين حتى وإن أخطئوا، طالما أنهم يتوبون عن خطاياهم بصدق.

---

[٥] التاريخ الكنسي للمؤرِّخ البيزنطي سقراط: ٤، ٢٣ (الباترولوجيا جريكا، المجلد ٦٧، ص ٥١٦).

[٦] نفس المرجع السابق، ٤، ٢٥ (الباترولوجيا جريكا، المجلد ٦٧، ص ٥٢٨).

[٧] (الباترولوجيا اللاتينية، المجلد ٣٤، ص ١٧).

هذه الرسالة حملتها مجموعةٌ من الرهبان كانت عائدةً من رحلةٍ إلى مدينة الإسكندرية بقيادة اثنين من كبار الرهبان وهما ثيؤفيلوس وكوبريس. وعندما قرأها القديس ثيؤدوروس امتلأ فرحًا حتى أنه سَلَّمَهَا إلى راهبٍ يُدعى إيلوريون ليقرأها على باقي الأخوة ولأنها كانت مكتوبةً باللغة المصرية (القبطية)، فقد قام أحد الرهبان المدعو ثيؤدوروس الإسكندري بترجمتها إلى اللغة اليونانية ونَصُّهَا كالتالي:

[من أنطونيوس إلى الإبن الحبيب في الرب ثيؤدوروس،

سلام،

أعرف أن الرب الإله لا يفعل أمرًا إلا ويكشف ما فيه مِنْ تعليمٍ لعبيده الأنبياء وأعتقد أنه لا يجب أن أوضح لكم الأمور التي كشفها اللّٰهُ لكثيرين من قبلي. ولكن عندما رأيت الذين كانوا برفقة ثيؤفيلوس وكوبريس، أمرني اللّٰه أن أكتب إليك عما كَشَفَ لي وهو أن كثيرين من الذين يعبدون المسيح بالحق، إن أخطئوا بعد المعمودية ثم ندموا على خطاياهم وناحوا وتابوا عنها، يقبل اللّٰه دموعهم ونوحهم ويمحو خطاياهم طالما أنهم تابوا.

أرجو من محبتك أن تَقْرأ هذه الرسالةَ على الأخوة ليفرحوا هم أيضًا بسماعها. سَلِّمْ على الأخوة. يسلم عليك الأخوة. كن معافًا في الرب][8].

من إرشادات القديس أنطونيوس للرهبان[9]

❖ مَنْ أراد أن يَخْلُص عليه أن لا يتأخر في صلاته ولا في تمجيده للّٰه.

❖ أن يصوم أحدٌ أربعين يومًا (يقصد الأربعين يومًا المقدسة) ثم يفطر خمسين يومًا (يقصد فترة الخماسين التي تعقب عيد القيامة)، فهذا يليق بالرؤساء والأغنياء

[8] Ex Epistula Ammonis Episcopi, PG 40, cc. 1065-1066.

[9] هذه الإرشادات موجودةٌ في المخطوط اليونانى رقم ١٥٧٩ المحفوظ في مكتبة الفاتيكان وقد نُشرت في مجموعة BEΠ «مكتبة الآباء اليونانيين»، المجلد ٤٠، صفحات ٣٣ و٣٤.

وبكلِ مَنْ لهم فكرٌ عالميٌ[١٠]، أما تأليف ترانيم وألحان فخليقٌ بالكهنة والعلمانيين على حدٍ سواء، لأن بهذه الطريقة يجتمع الشعبُ في الكنائس.

❖ أما للرهبان فهذا لا يليق[١١] (يقصد الصوم والإفطار بالطريقة المشار إليها بعاليه) لأنه كما أن الصياد يُخْفِي طُعْمَه في الدودة التي يصطاد بها وهكذا يمسك سمكًا، هكذا الشيطان، بشهوة الأكل وعدم الشبع والسُّكْر يصطاد النفس التي طالما سهرت على خلاصها.

❖ على الراهب أن يبتعد عن كل الأمور العالمية، أقصد الأغاني واللهو ومحبة الأكل والموائد والكسل. فلا يجب أن يَنْحَلَّ (من سيرته الرهبانية ومن تدبيره الداخلي) بحجة أنها أيامُ أعيادٍ سيديةٍ فيقضيها في استرخاء ولهو، فهذه الأيام وضعها القديسون ومعلمو الكنيسة بهدف تَذَكُّر تَجَسُّدِ الرب.

رسالة من أبينا القديس أنطونيوس
إلى رهبان منطقتي طيبة والفيوم[١٢]

[أطلب إلى الآباء منكم الذين لهم أبناءٌ رهبانٌ أو متوحدون أن تبلغوا هذه الإرشادات إلى أبناءِ محبتكم، بعد أن تمارسوا أنتم أولاً هذا السلوك المسيحي (في المسيح) كما تَعَلَّمْنَا نحن أيضًا من الآباء القديسين.

فبنعمة سيدنا يسوع المسيح أنتم مخلَّصون (أف٢: ٥) ولكن هذه النعمة تريد أن تكونوا أولادها باختياركم الشخصي المحض وأبناءَ حكمةِ الله، لأن المسيح هو قوةُ الله وحكمتُه كما يقول الرسول بولس (١كو١: ٢٤).

امتحنوا كل شيء، كما يقول الرسول بولس وتمسكوا بالحسن (١تس٥: ٢١) وفي هذا فلتكن لكم غيرةٌ.

---

[١٠] لعل القديس أنطونيوس يقصد هنا أن هذا النوع من الصوم لا يليق بالراهب الذي يجب أن يكون صومه دائمًا.

[١١] لأن حياة الرهبان صلاةٌ دائمةٌ ونسكٌ وفقرٌ اختياريٌ وصومٌ.

[١٢] هذه الرسالة محفوظة في مكتبة مدينة نوريمبيرج بألمانيا وقد نُشرت في مجموعة BEП «مكتبة الآباء اليونانيين»، المجلد ٤٠، صفحة ٣٣.

فاهتموا أولاً بأنفسكم حتى توجدوا مستحقين للإيمان القويم الكامل واضعين أمام نَاظِرَيْكُمْ وصية الله الذي قال: « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك وتحب قريبك كنفسك » (لو١٠: ٢٧). احفظوا وصية المسيح « لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور » (تعاليم الرسل ١٢، ٢، ٢ـ٤) و(مت ١٩: ١٨ـ١٩). فهذه الوصايا التي يجب علينا أن نحفظها قد أَكْمَلَتْهَا وتَمَّمَتْهَا قوةُ الله الذي صار إنسانًا لأجلنا وإن كان قد سَلَّمَهَا (الله) لنا منذ الأزمنة القديمة بواسطة خادمه موسى النبي بإرادة الله الآب (أع ١٥: ٢١).

امتنعوا عن المخنوق والدم (أي الحيوانات التي تُقَدَّمُ ذبيحةً للأصنام) (أع ١٥: ٢٠). وانتبهوا لئلا يخدعكم أحد فيبعدكم عن هذه الوصايا وعن الله نفسه. هذا (كل هذه الوصايا) ما أعلنه لنا اللهُ منذ زمن بعيد، أما الآن فبعد أن تجسد وصار إنسانًا وأراد أن يُكَمِّلَ وصاياه أوصانا بالتالي:

- مَنْ سألك فاعطه.
- مَنْ أخذ ما لك فلا تطالبه به.
- أحبوا أعدائكم.
- أحسنوا إلى مبغضيكم.
- باركوا لاعنيكم.
- صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم.
- مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضًا.
- مَنْ أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا (مت ٥: ٣٩ـ٤٠) و(لو ٦: ٢٧ـ٢٩).
- لا تنظر إلى إمرأة بشهوة.

❖ لا تحتقر أخاك لكونه فقيرًا بل افرح بالأكثر لفقره لأن هذه وصية الرب أن لا نقتني لنا ثوبين (مت ١٠: ١٠).

❖ لا ندن أحدًا لئلا ندان نحن أيضًا في الدينونة العتيدة (مت ٧: ١-٢).

هذا ما يعلمنا إياه الرب يسوع المسيح لأنه يريد أن ينأى بنا بعيدًا عن الأمور الحياتية الباطلة التي للدهر الحاضر. أما أنتم أيها الأحباء فاسلكوا هكذا (في المسيح) كما سلك ذاك أيضا عندما تجسد. فقد سمعتموه يقول للغَنِّي الذي سأله: « اذهب وبع كل ما لك واعط للفقراء » (مت ١٩: ٢١) وسمعتموه أيضا يقول للآخر الذي أراد أن يتبعه: « للثعالب أوجرةٌ ولطيور السماء أوكارٌ وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسْنِد رأسه » (مت٨: ٢٠) وقال كذلك: « لا تطلبوا ماذا تأكلون أو ماذا تشربون أو ماذا تلبسون » (مت ٦: ٣١)، لأن هذه الأمور الوقتية والإهتمام المادي العالمي فخليقٌ بالأمم وعبدة الأوثان الذين ليس لهم إلهٌ (مت ٦: ٣٢).

أما نحن الذين تَرَهَّبْنَا ونعيش بالنسك فقد أماتنا (الله) من جهة الأمور المادية (الاهتمامات) ولكنه أَحْيَانا بطريقته الخاصة (من جهة الحياة والسيرة)، ليس فقط في هذه الحياة الحاضرة بل وللعتيدة أيضًا في السماء.

فاحترسوا إذن من الإنقسام (الاختلاف والتشكك) ولا تكذبوا ولا تتهموا أحدًا ولا تدوروا هنا وهناك (بالعقل) ولا تُخْرِجُوا من أفواهكم كلمةً شريرةً ولا كلمةَ شتيمةٍ ولا تتهكموا على أحدٍ بل قولوا قولاً متواضعًا ببساطة ولا تُقْسِمُوا البتة، بل كما قال الرب: « ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا »، وإذا اضطررتم أن تؤكدوا شيئًا في حديثكم فقولوا « أقول الصدق ولا أكذب » (رو ٩: ١).

لا يتعرى أحدُكُم أمام الآخر ولا تشتركوا في أعياد غير المؤمنين. لا تحفظوا السبوت كما يفعل اليهود وإن قررتم صومًا بإرادتكم فعليكم أن تحفظوه. وعندما تصومون أو تسلكون (في المسيح) فإياكم بالعُجْب لأن انتفاخ العقل فخٌ من فخاخ الشيطان.

لا تهملوا الاجتماعات وكونوا مستعدين لكي تؤهَّلوا للأسرار الإلهية.

اعتنوا بغسلِ أرجلِ الأخوة الذين يأتون لزيارتكم وكونوا مضيفين لهم بلا دمدمة (١بط ٤: ٩)، لأن الله سيطلب هذه الوصية من الذين ائْتُمِنُوا عليها ثم أهملوها، حتى وإن كانوا أساقفةً أو إكليروسَ، أي الذين يخدمون ويقدسون مجد الله في الكنائس، فإن لم يحفظوها فلن يقبلهم اللهُ، لأن اللهَ عادلٌ ولا يأخذ بالوجوه ويدين كل واحد حسب أعماله.

لا تَرْتَئُوا فوق ما ينبغي أن تَرْتَئُوا[١٣]، أيها الأخوة، بل تسربلوا بالتواضع (١بط ٥: ٥)، لأن الربَ نفسه، الغَنِيَّ وحده، سيدَ الكل، الذي هو غيرُ محتاجٍ إلى شيءٍ ولا إلى أحدٍ، الذي صار إنسانًا لأجلنا، قد غسل أرجل تلاميذه مُعَلِّمًا إيانا نحن الأشقياءَ أن نفعل المِثْل فيما بيننا لكي لا يفتخر الواحد على الآخر.

اهربوا من محبة المال لأن الله قال: « لا تهتموا بالغد » (مت ٦: ٣٤)، لأن محبي المال لا يستطيعون أن يرضوا الله. أحبوا إذن كل إنسان وسالموا جميع الناس واعطوا مَنْ ليس لهم وعندما تستردون منهم فليكن بدون رِبَا (بدون فوائد) حسب وصية الرب.

كونوا متواضعين وهادئين ولتكن خشيةُ كلمة الله فيكم ولتكن ثيابُكُم حتى أرجلكم (طويلة ومحتشمة) ونعولُ أرجلكم بسيطةً وغير متكلفة وليس كعادة العاهرات وسكان العالم في التزيي، لأن ربنا يسوع المسيح منع كل هذه لما تجسد لأجلنا وارتضى بالملابس التي كانت تتوفر له لأنه كان مُعَلِّمَ عدم القنية.

اهتموا دائما بشغل أيديكم وجدُّوا في إنهائها حتى يكون لكم، من هذا التعب، خبزٌ تقيتون به أنفسكم ومَنْ لهم احتياج أيضًا، لأن مَنْ يفعل هذا فبالرب يسوع المسيح قد فعله، لأنه هو نفسه قال: « الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم » (مت ٢٥: ٤٠) وهو الذي

---

[١٣] «لا تَرْتَئُوا» تعني أن «لا تروا في أنفسكم فوق ما ينبغي أن تروا» والكلمة اليونانية المستخدمة هي «يفتكر أو يظن»، أي «لا تظنوا في أنفسكم فوق ما يجب أن تظنوا»، بل فكروا بتعقل وتواضع الفكر في تقدير أنفسكم.

سبق فقال بفم داود النبي: « لأنك تأكل تعب يديك طوباك وخير لك » (مز ١٢٨: ٢) وأيضا: « بعرق وجهك تأكل خبزًا » (تك ٣: ١٩) وهذا ما قاله القديس بولس الرسول: « احرصوا على أن تكونوا هادئين ومارسوا أموركم الخاصة واشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم، لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة الى أحد » (١تس ٤: ١١) وأيضًا قال: « إن كان أحدٌ لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا » (٢ تس ٣: ١٠).

في الدير المصنوع بيدٍ بشرية، الذي تقيمون فيه، فليكن أمام أعينكم دائمًا المسكنُ الأعلى المصنوع بغير يدٍ (بشرية).

اجمعوا حديثي السن (ربما يقصد القديس هنا المقبلين على الرهبنة أو الذين تحت الاختبار) بأقوال روحانية واسهروا معًا في تلاوة المزامير والصلوات والأصوام بمحبة حتى نتمتع جميعًا، من الرب، بمجازاةِ تَعَبِنَا.

أرجوا أن تكونوا دائمًا أقوياءَ في روح الرب (ممتلئين من قوة روح الرب)[١٤] ومحبوبين].

من رسالة القديس الأنبا آمون عن التجارب

أشار القديس الأنبا آمون إلى القديس الأنبا أنطونيوس في إحدى رسائله مستعيرًا منه رأيه في التجارب فقال (والقول للقديس أنطونيوس): [لا يستطيع إنسانٌ غيرُ مُجَرَّبٍ أن يدخل ملكوت السموات] [١٥].

من سيرة القديس باخوميوس[١٦]

وَرَدَتْ في سيرة القديس الأنبا باخوميوس مواقفُ عديدةٌ مع الكثير من الآباء وفيما يتعلق بالقديس الأنبا أنطونيوس نشير إلى التالي:

---

[١٤] ميخا (٨:٣).

[١٥] مكتبة الآباء اليونانيين، الجزء رقم ٤٠، ص ٥٣.

[١٦] مكتبة الآباء اليونانيين، الجزء رقم ٤٠، ص ١٧٧.

حدث بعد عودة القديس العظيم الأنبا أثناسيوس من مجمع نيقية أن كان بعض الأخوة في طريقهم إلى الإسكندرية بمركب، فنما إلى مسامعهم أن القديس العظيم الأنبا أنطونيوس مقيمٌ في الجبل الخارجي، فأخذوا المركب إلى أحد المرافئ ثم صعدوا إلى الجبل ليروه وليباركهم لأنه كان في نظرهم رجلَ اللّه. فلما سمع الأنبا أنطونيوس أن الأخوة قادمون قام للوقت، إذ كان متقدمًا في الأيام وخرج إليهم وحَيَّاهم ثم بادرهم بالسؤال قائلاً: [كيف حالُ القديس الأنبا باخوميوس؟]، لأنه رآهم يبكون ففهم أن القديس الأنبا باخوميوس قد تنيح، فقال لهم: [لا تبكوا، فالقديس الأنبا باخوميوس مخلوقٌ مثلكم جميعًا. أقول لكم إن القديس الأنبا باخوميوس قد تعب كثيرًا حتى يجمع حوله كل هذا الجمع الكبير من الأخوة وهو الآن يسير في طريق الرسل الأطهار]. فأجاب الأب زكا قائلاً: [ولكن أنت يا أبانا نورُ هذا العالم وشُهْرَتُك وصلت حتى إلى الملوك وهم لذلك يمجدون اللّه فيك]. فقال له القديس أنطونيوس: [كُفَّ عن هذا يا زكا! في البداية وقبل أن أصير راهبًا، لم تكن هناك أديرةٌ تسير بنظام حياة الشركة مِنْ شأنها أن تغذي النفوس روحيًا وجسديًا، بل كان كل واحد من الرهبان المبتدئين يمارس النسك بمفرده ولكن بعد ذلك قام أبوكم القديس الأنبا باخوميوس بهذا العمل العظيم مُلْهَمًا من الرب نفسه. قَبْلَه أراد أحد الرهبان القدامى المدعو أوتاس Aotas، أن يقوم بهذا العمل ولكنه لم ينجح فيه لأنه لم يهتم به من كل قلبه. أما عن أبيكم الروحي القديس الأنبا باخوميوس فقد سمعت أنه كان دائمًا ما يسلك بحسب الكتب المقدسة. وقد أردت بالحق أن أراه شخصيًا ولكن ربما لعدم استحقاقي لم أتمكن من ذلك. ولكنني أؤمن أنني سأراه في ملكوت السموات ليس هو فقط بل وكل الآباء القديسين وقبل الكل ربنا وإلهنا وسيدنا يسوع المسيح. فتقووا واثبتوا داخليًا وكونوا كاملين. ولكن قولوا لي: على مَنْ وقع اختيارُ القديس باخوميوس ليخلفه؟، فقالوا له: [اختار الأنبا باخوميوسُ الأبَ بترونيوس وهذا أوصى بالأب أورسيسيوس ليكون خليفةً له

بعد نياحته]. فأجاب القديس أنطونيوس وقال لهم: [لا تُسَمُّونَه أورسيسيوس[١٧] بل « الإسرائيلي » [١٨] وإن قابلتم القديس الأنبا أثناسيوس، الذي هو مستحقٌ فعلاً للأسقفية، قولوا له هذا ما يقوله أنطونيوس: اهتم بأولاد الإسرائيلي].

بعد ذلك كتب القديس أنطونيوس رسالة[١٩] إلى القديس الأنبا أثناسيوس وأرسلها له مع هؤلاء الأخوة ثم صلى لهم وباركهم وصرفهم وهم عندما وَصَلُوا إلى مدينة الإسكندرية قابلهم القديس الأنبا أثناسيوس بمحبة كبيرة وذلك لأجل القديس الأنبا أنطونيوس.

وأيضًا من سيرة القديس الأنبا باخوميوس[٢٠]

عندما سمع الأنبا ثيؤدوروس بما حدث في زيارة الأخوة للأنبا أنطونيوس وكيف رَحَّبَ بهم وقابلهم كأبناء له وخصوصًا بعدما أعرب القديسُ الأنبا أثناسيوس عن عميق محبته لكلا الرجلين أنطونيوس وباخوميوس ـ قال للأخوة : [سمعتُ، أنا وغيري مِنْ الذين هم أكبر منكم سِنًّا، سمعتُ أبانا القديس العظيم الأنبا باخوميوس يقول: في جيلنا في مصر أرى ثلاثة رؤوس ترتفع وتتعالى لخير مَنْ يستطيعون أن يدركوا قدرهم؛ وهذه الرؤوس الثلاثة هي: الرأس الأول هو القديس العظيم الأنبا أثناسيوس، مجاهد المسيح وحامي الإيمان حتى النَفَس الأخير والرأس الثاني هو القديس العظيم الأنبا أنطونيوس،

---

[١٧] تنيح هذا الأب عام ٣٤٥م وله في «الباترولوجيا جريكا» نَصّ بعنوان «تعليم للرهبان» منشور باللغة اللاتينية، في المجلد رقم ٤٠، الأعمدة ٨٦٩-٨٩٤.

[١٨] كثيرا ما كان يحلو للقديس أنطونيوس أن يلقب مراسليه في رسائله وفي خطابه العادى بـ«أولاد إسرائيل» أو «رجال إسرائيل القديسين» وذلك لأنهم يتبعون كلمات الرب التي قالها لإبراهيم «اخرج من أرضك ومن عشيرتك»، انظر في هذا: J. Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 151

[١٩] لا يُفهم من هذا أن القديس الأنبا أنطونيوس كتب الرسالة بنفسه بل أملاها على الأخوة وقام أحدهم بكتابتها، لأن القديس أنطونيوس، كما هو معروف عنه، لم يكن يعرف الكتابة. بهذا الشأن راجع بحثنا عن القديس أنطونيوس ومدى تعلمه القراءة والكتابة، «رسائل القديس أنطونيوس» في دراسات آبائية ولاهوتية العدد ١٦ (يونيو ٢٠٠٥)، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ص ص. ٦٢-٧١.

[٢٠] مكتبة الآباء اليونانيين، الجزء رقم ٤٠، ص ١٨٥.

الرجل الكامل ومؤسِّس حياة الوحدة، أما الرأس الثالث فهو حياة الشركة[٢١] هذه التي تحيونها والتي تُعَدُّ نموذجًا لكل مَنْ يريد أن يجمع نفوسًا ويعتني بها كما أوصى الرب حتى يَصِلُوا إلي الكمال].

[٢١] رغم أن القديس باخوميوس هو نفسه مؤسس حياة الشركة إلا أنه من تواضعه لم يمتدح ذاته بل امتدح طريقة حياة الشركة نفسها.